شيخ الحديث ومحدث الزمان

الشيخ ناصر الدين الألباني

إمام الحديث في هذا العصر بلا منازع.

□ يقول الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني ـ حفظه اللَّه ـ:

«لقد ذب ناصر الدين عن السنة خمسين عامًا تحريف الغالين وانتحال المبطلين، حتى أصبح حديث رسول اللَّه ﷺ والدفاع عنه جزءًا من حياته ودمه الذي يجري في عروقه، فحورب كثيرًا من أقرانه، ومن متعصبة زمانه فزجّ في السجن مرتين بسبب العداوة والبغضاء وكان دائمًا يردد مقولة يوسف عليه السلام في كتاب اللَّه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ الآية [يوسف: ٣٣].

وقد كان من نعم اللَّه على الشيخ ناصر أثناء سجنه أن دعا المسجونين إلى ما كان يدعو إليه خارج السجن، وهو الكتاب والسنة ونبذ الابتداع في الدين والانقياد لقول اللَّه عز وجل، وقول رسوله ﷺ، وترك التقليد، فاستجاب لدعوته خلق كثير منهم، وحث الناس في السجن على صلاة الجماعة والجمعة وهذه أول مرة تقام صلاة الجمعة في القلعة من بعد سجن ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ.

واستفاد الشيخ من سجنه أنه ألف فيه مختصره على صحيح مسلم بن الحجاج ـ رحمه اللَّه ـ وهو غير اختصار مسلم للمنذري الذي حقق أحاديثه الشيخ»[1] ويذكر فضيلة الشيخ الألباني المشكلات التي يتصل بعضها برقاب

(١) للشيخ ـ رحمه اللَّه ـ ردّ قوي على نجيب محفوظ وروايته «أولاد حارتنا» أو «موت الإله».

بعض من آثار دعوته إلى الكتاب والسنة الصحيحة:

«فمرة يدعوه وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن، ليبلغه طلب مفتي أدلب منع الشيخ من دخول تلك البلد، وإبعاده عن منطقة الحسكة، ومرة أخرى يتلقى دعوة من الشرطة بوجوب مواجهة سماحة مفتي دمشق، فلم يسعه سوى التوجه إليه، وإذا مكتب سماحته حافل بالمشايخ الذي حُشدوا لهذه الغاية، وأثير بعض النقاش إلا أنه لم يستمر طويلاً إذ لم يكن من خطة القوم استمراره، واكتفى سماحته بأن وجه إلى الشيخ تهمة إثارة الفتنة!! وتحت التهديد اضطر الشيخ إلى توقيع تعهد بألا يقدم على الخطابة في الناس... وكان ذلك تعهّد غير ذي موضوع بالنسبة إلى الشيخ؛ لأنه غير ذي صلة بالخطابة أصلاً. ويختم الشيخ الألباني عرضه المؤسف بهذا الخبر الغريب، وهو أن نقمة الخصوم قد تجاوزت حدود المضايقات إلى إباحة الدم، وذلك بما أذيع عن فضيلة رئيس رابطة العلماء من أنه أفتى بقتله!!»[1].

«وقد أتاح له السجن الاتصال بمن لولا ضرورات السجن لما فكّروا يومًا بلقائه، فضلاً عن الدخول معهم في حوار عدّل الكثير عن أفكارهم عن الشيخ وعن السلفية»[2].

❑ يقول الشيخ محمد المجذوب في كتابه ص(٢٩٨ ـ ٣٠٠):

«وطبيعي أن حركة ينهض بها ذو علم لإحياء السنة والدعوة إليها لا بد أن تثير غضب المخالفين لها أيًّا ما كانوا، وهكذا انداحت مساحة المعارك هذه حتى تجاوزت سورية إلى مختلف الأقطار الإسلامية.

وأنا هنا أعلن دون تردد أني بجانب الشيخ، أنافح عن دعوته للرجوع

(١) «الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني ص(٢٨ ـ ٢٩) ـ الدار السلفية.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

إلى الكتاب والسنة وفهمهما على منهج السلف ثقة مني بأن هذا المسلك إحياء للتفكير الإسلامي الحر، وإزالة للجمود الذي ران على عقول كثير من المسلمين وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي.

قالوا ألا كلمة في الشيخ تنصفه ... فقد طغى الجور حتى في الموازينِ
شُنَّت عليه حروب لا يسوّغها ... عقل يرى الحق في ظل البراهينِ
فقلت: فوق ثنائي ما يبلِّغه ... محدث الشام عن خير النبيينِ
وردّه الجيل للوحي الجليل يدٌ ... ما إن يكابر فيها غير مفتونِ
وحسبه أنه هزّ العقول وقد ... باتت من الحجر والتقليد في هُونِ
فأصبحت ذات وعيٍ ليس يعجزهُ ... التمييز ما بين مفروض ومسنونِ
والدين سرٌّ من الرحمن بيَّنه ... رسولهُ، وسواهُ محضُ تخمينِ
والجامدون حيارى ليس في يدهم ... إلا رواية مجروحٍ لموهونِ
فما عسى أن يقول الشعر في رجل ... يدعوه حتى عِداهُ: ناصرَ الدين!
وأي ضيرٍ إذا فردٌ تجاهله ... وقد فشا فضله بين الملايين!

* * *

سجن الشيخ الألباني عام ١٩٦٧م لمدة شهر فقط، ثم سجن بعد ذلك نحو ستة أشهر.

❑ يقول الشيخ الألباني: «إنه هو الذي سُجِن في سبيل التوحيد».

❑ لقد خاف أصحاب السلطان من الإسلام نفسه إذ هم واثقون أن كل كلام للألباني في الإسلام الصحيح هو تشهير بحكمهم وتسفيه لأحلامهم، وقد جرّبوا أن يستكشفوا سريرة الشيخ في هذا المضمار عندما سألوه رأيه في النظام القائم فأعلن خصومته له بسبب مخالفته لحكم اللّه. فكان جوابهم

على ذلك استبقاءه في المعتقل بعد أن كانوا على وشك الإفراج عنه[١] .

وخرج الشيخ من سجنه وانتشر علمه وذهب ساجنوه إلى مزابل التاريخ إن المحبوس من حبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه، والأسير فعلاً أسير الآخرة لا الدنيا، فأسير الدنيا يومًا من الأيام تفك قيوده وتفصم كبوله، أما الآخرة فهناك السلاسل والأغلال والقيود والأنكال ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.

● عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجن في جهنم يُسمَّى بُولُس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»[٢] .

* * *

(١) انظر «رجال ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥١١٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٨٠٤٠).